فوق الحياة

إنى احترقتُ ولم تدعْ أشلائى — نيرانُ تلك الحسرة الهوجاء
قد أوغلتْ بى نزعةٌ مدفوعةٌ — نحوَ الكمال تمدُّ فى برحائى
إذ أنَّ ما يسبى قلوبَ الناس لا — ألقاه حتى فى ذيولِ سمائى
أقبلتُ ملءَ دمى على الدنيا وفى — قلبى حياةٌ جمّةُ الأهواء
وطرحتُ أعوامى عليها شادياً — متنقلاً فى الزرعِ والصحراء
ونزعتُ عنى كلَّ معنى كاذبٍ — ونشدتُ وجهَ النورِ فى الظلماء
وتأملتْ روحى أساريرَ الدجى — وتغلغلتْ فى ذاتهِ السوداء
وإذا الرياحُ تقولُ لى فى نصحها: — قفْ أيها السارى إلى التيهاء!
مَنْ لم تسعْه الأرضُ وهو مكبّلٌ
نبذتْه عنها عبرةُ الأحياء!
تلك السدودُ أقامها فوقَ الثرى — ربُّ الوجودِ وضاربُ الجوزاء
قلتُ اهتدى يا ريحُ ما أنا مسرفٌ — متطلّبٌ فى الصخرِ دفقةَ ماء!
وطفقتُ أخبطُ فى الظلامِ منقّباً — عمّا وراءَ الليلِ من أشياء
حتى بدا لى خلفَ أحجارِ الدجى
نهرٌ يعجُّ بأعذبِ الأضواء
ونهلتُ منه فاكتملتُ كأننى — أصبحتُ أسمى من بنى حوّاء
وتألقتْ من حولهِ لى جنّةٌ — علويّةٌ مطلولةُ الأرجاء
هى عالمُ المثلِ الرفيعةِ صاغها — «فوقَ الحياة» تدفّقُ الإيحاء
أظلالها فوقَ الزروعِ مديدةٌ — ونسيمها متعطّرُ الأحناء
وطيورها ذهبيّةٌ مسحورةٌ — تشدو فيهتزُّ الفضاءُ إزائى
وأخذتُ أرشدُ من أحبُّ إلى السنى
ومسابهِ، والنهلةِ البيضاء
والحقِّ والخيرِ الذى يمشى على — ربواتِ تلك الجنّةِ العذراء
لكنّهم ضجّتْ بهم أرواحهم — ظمأى إلى الأوحالِ والأنواء
عادوا وفى ألبابهم لى لعنةٌ — مكنونةٌ كالسمِّ فى الرقطاء
قالوا لقد عشنا على الدنيا كما — شئنا وشاءتْ ربقةُ الأحياء
مستعذبين قيودنا لا تنجلى — عنّا عمايةُ هذه الظلماء
تلك الحواجزُ لا نحبُّ عبورها — نحوَ الذى نخشاه من أجواء
يا أيها المجنونُ! إنك شاعرٌ — يقتاتُ من أوهامهِ الحسناء
إذهبْ فلا كانتْ لك الدنيا وعشْ
فى برجكَ المملوءِ بالخيلاء!
لكنّنى ناديتُ من عليائى — مستعصماً بالذروةِ القعساء:
البرقُ يكسبنى التماعاً إننى — أفقٌ فضجّوا فى رحابِ فضائى!
والنارُ تمنحنى حياةً إننى — ذهبٌ فبثّوا النارَ فى أحشائى!

عبد الرحمن الخميسى

غيران...

إذا الفجرُ لاحَ وحيّا العذارى — وحيّيتهِ بابتسامٍ رقيقْ
تلفّتَ قلبى له واستطارا — كأنَّ به سكرةً لا يفيقْ
يغارُ عليكِ إذا الفجرُ لاحْ
وإنْ جئتِ فى خفّةٍ تخطرينْ — ومالتْ عليكِ غصونُ الطريقْ
فما أشفقَ الغصنَ بالعاشقينْ — ولكنْ بقلبى زفيرُ الحريقْ
يغارُ عليكِ إذا الغصنُ مالْ
وإنْ رقَّ بين يديكِ النسيمْ — يسايرُ ظلّكِ مثلَ الرفيقْ
فلا كانَ هذا النسيمُ الكريمْ — ألمْ يدرِ أنَّ فؤادى عشيقْ
يغارُ عليكِ إذا الظلُّ سارْ
وإن نطقوا باسمكِ الطاهرِ — وخفَّ له كلُّ سمعٍ طليقْ
ترامى صداهُ إلى خاطرى — ولكنَّ قلبَ المحبِّ المشوقْ
يغارُ عليكِ إذا الاسمُ ذاعْ
وإن ضمّكِ البحرُ يا فاتنهْ — وداعبَ منكِ القوامَ الرشيقْ
فيا حسنَ أمواجهِ الساكنهْ — وقلبى الذى هو بحرٌ عميقْ
يغارُ عليكِ إذا البحرُ ماجْ
وإنْ رقصَ الليلُ فى راحتيكِ — وأهديتِه نسمةً من رحيقْ
فها قد حرمتُ سنى ناظريكِ — وقلبى الذى فى دجاهُ غريقْ
يغارُ عليكِ إذا الليلُ جاءْ

محمد محمود زيتونه